# تذكروا مصيبة

# وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

# فإنها أعظم المصائب

إعداد

دار القاسم

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار القاسم

# وفاة الرسول ﷺ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أذل بالموت رقاب الجبابرة، والحمد لله الذي أنهى بالموت آمال القياصرة، فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة النساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم في الطعام والشراب إلى التمرغ في الوحل والتراب.

اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

هو الواحد الذي لا ضد له، وهو الصمد الذي لا منازع له، وهو الغني الذي لا حاجة له، وهو القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو جبار السموات والأرض.. لا راد لحكمه.. ولا معقب لأمره.

هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فلا شيء بعده، وهو الظاهر فلا شيء فوقه،

وهو الباطن فلا شيء دونه، وهو على كل شيء قدير.

هو الحي الذي لا يموت، صاحب الملك والملكوت، صاحب العزة والجبروت، الذي كتب الفناء على جميع خلقه، وهو الحي الباقي الذي لا يموت.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وعبد ربه حتى لبى داعيه، وجاهد في سبيله حتى أجاب مناديه، عاش طوال أيامه ولياليه يمشي على شوك الأسى ويخطو على جمر الكيد والعنت، يلتمس الطريق لهداية الضالين، وإرشاد الحائرين، حتى علم الجاهل، وقوم المعوج، أمن الخائف، وطمأن القلق، ونشر أضواء الحق والخير والإيمان والتوحيد، كما تنشر الشمس ضيائها في رابعة النهار. فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصلى اللهم وزد وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى

أثره إلى يوم الدين.

**أما بعد:**

فقد خلق الله الأرض، واختـار منها بلـده الحرام ففضله على جميع بقاع الأرض.

وخلق الله السموات سبعًا، فاختار العليا منها ففضـــلها بـــالقرب من كرســـيه ومن عرشه جل وعلا.

وخلق الله الجنان وفضل جنة الفـردوس على سار الجنان فسقفها عرش الرحمن.

وخلق الله الملائكة واصـــــــطفى منهم جبريل وإسرافيل وميكائيل.

فجبريل صـاحب الـوحي الـذي به حيـاة القلوب والأرواح.

وميكائيل صـاحب القطر الـذي به حيـاة الأرض ومن عليها من الأحياء.

وإسـرافيل صـاحب الصـور الـذي بنفخته يبعث الناس ليوم النشور.

وخلق الله البشر واصطفى منهم الأنبياء والرسل واصـطفى من الرسل أولي العـزم الخمسة واصــطفى من أولي العــزم خليله وحبيبه محمـدًا ﷺ ففضـله على جميع الأنبيـاء والمرسلين.

وما أحلى أن يكون الحـديث عن رسـول الله !

فهو إمـام الأنبيـاء... وإمـام الأتقيـاء... وإمـام الأصـفياء. وخـاتم الأنبيـاء.. وسـيد المرسلين.. وقائد الغر المحجلين. وصـاحب الشـفاعة العظمى يـوم الـدين.. وصـاحب المقام المحمود.. وصاحب اللواء المعقـود.. وصـاحب الحـوض المـورود. شـرح الله صدره، ورفع الله له ذكـره، ووضع الله عنه وزره، وزكاه في كل شيء.

زكـاه في عقله فقـال: مَا ضَـلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى.

زكـاه في صـدقه فقـال: وَمَا يَنْطِـقُ عَنِ الْهَوَى.

وزكاه في معلمه فقال: عَلَّمَهُ شَـدِيدُ الْقُوَى.

وزكاه في بصره فقال: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى.

وزكـاه في فـؤاده فقـال: مَا كَـذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى.

وزكـاه في صـدره فقـال: أَلَمْ نَشْـرَحْ لَكَ صَدْرَكَ.

وزكـاه في ذكـره فقـال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

وزكـاه كله فقـال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

فهو حبيب اللـه... وهو خليل اللـه... وهو أكرم خلق الله عز وجل.

وما من نبي من الأنبيـاء إلا وقد أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يؤمن برسول الله  وأن ينصره إذا بعث؛ كما قـال الله جل وعلا في سـورة آل عمـران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

* وفي الحـديث عن أبي هريـرة  أن النـبي  قـال: «**فضـلت على الأنبيـاء بست: أعطيت جوامع الكلم. ونصرت بالرعب. (وفي رواية مسيرة شهر). وأحلت لي الغنائم. وجعلت لي**

**الأرض مسـجدًا وطهـورًا. وأرسـلت إلى الخلق كافة. وختم بي النـبيون»** [رواه البخاري ومسلم].

* وعن أبي هريـرة ﷺ أن النـبي ﷺ قـال: **«إن مثلي ومثل الأنبيـــاء من قبلي كمثل رجل بـــنى بنيانًا فأحســـنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زويـاه، فجعل النـاس يطوفـون به ويعجبون بـه، ويقولـون: هلا وضـعت هـذه اللبنـة؟ قـال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»** [رواه البخاري ومسلم].

* وعن أبي هريـرة ﷺ أن النـبي ﷺ قـال: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامـة، وأول من ينشق عنه القـــبر وأول شـــافع وأول مشـفع»**. [رواه مسـلم وأبو داود والترمذي].

ففي يوم يـزداد همه وكربـه، على جميع النـاس، يـوم تـدنو الشـمس من الـرءوس فتغلي من حرارتها ثم يؤتى بجهنم كما أخبر ﷺ في الحـــديث الـــذي رواه عبد الله بن مســـعود: **«يـــؤتى بجهنم يومئذ لها سـبعون ألف زمـام، مع كل زمـام**

**ســــــبعون ألف ملك يجرونها»** [رواه البخاري ومسلم].

فــإذا رأت الخلائق زفــرت، وزمجــرت غضـــــبًا لغضب الله عز وجل فــــإذا رآها الخلائق لا يقوى مخلــوق في أرض المحشر أن يقف على قدميه من الحســرة والفــزع والهول فيخر جاثيًا على ركبتيه.

﴿**وَتَـرَى كُـلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَـةً**﴾ [الجاثيــة: 28].

ويطول الموقف على جميع الناس، حتى الأنبيـاء، فيقـول بعضـهم لبعض ألا تـرون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشــفع لكم إلى ربكم فقــول بعض الناس لبعض ائتوا آدم ﷺ.

* ففي الحــــديث الذ رواه البخـــــاري ومسلم وأحمد من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال يومًا: «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك؟**

**يجمع الله الأولين والآخــــرين في صعيد واحد.**

**فيقــول بعض النــاس لبعض ائتــوا آدم فيقولون يا آدم: أنت أبو البشــر،**

خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لـك، فاشـفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟

فيقـول آدم: إن ربي غضب اليـوم غضـبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعـده مثلـه، وإنه نهـاني عن الشـجرة فعصـيت، نفسـي، نفسـي، نفسـي، اذهبـوا إلى غـيري. اذهبـوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبـدًا شـكورًا، فاشـفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول نوح: إن ربي غضب اليـوم غضـبًا لم يغضب قبله مثلـه، ولن يغضب بعـده مثلـه، وإنه كـانت لي دعوة دعوت بها على قومي. نفسي، نفسي، نفسـي، اذهبـوا إلى غـيري. اذهبوا إلى إبراهيم.

فيـأتون إبـراهيم فيقولـون: يا

إبـــراهيم أنت نـــبي الله وخليله من أهل الأرض ألا ترى ما نحن فيــه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقــــول: إن ربي غضب اليـــــوم غضـــــبًا لم يغضب قبله مثلــــه، ولن يغضب بعـــده مثلـــه، وذكر كذباتـــه، نفسي، نفسي، نفسـي، اذهبـوا إلى غــيري. اذهبــوا إلى موسى فيــأتون موسى.

فيقولــون: يا موسى أنت رســول الله اصـــــطفاك الله برســـــالاته، وبتكليمه على الناس، اشــفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم موسى إن ربي غضب اليــوم غضــبًا لم يغضب قبله مثلــه، ولن يغضب بعــده مثلــه، وإني قتلت نفسًـــــا لم أومر بقتلهــــا، نفســـــي، نفســي، اذهبــوا إلى غــيري. اذهبــوا إلى عيســــــــى. فيـــــــأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رســول الله وكلمته ألقاها إلى مــريم وروح منــه،

قــال: هكـذا هـو. كلمت النـاس في المهد فاشـفع لنا إلى ربـك، ألا تـرى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقـــول لهم عيســـى: إن ربي غضب اليــوم غضــبًا لم يغضب قبله مثلــه، ولن يغضب بعــده مثلــه، ولم يذكر ذنبًا، نفسـي، نفسـي، نفسـي، اذهبوا إلى غيري. اذهبــوا إلى محمد ﷺ.

فيأتونني. فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، خاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقـــدم من ذنبك وما تـــأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

فـأقوم فـآتي تحت العـرش فـأقع ساجدًا لـربي عز وجـل، ثم يفتح الله علي ويلهمــني من محامــده وحسن الثنـــاء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي.

فيقــال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطـه، اشـفع تشـفع فـأقول يا رب أمــتي أمـتي، يا رب امــتي أمـتي، يا

**رب أمـــتي أمـــتي - وفي الروايـــات الأخـــرى - فـــأقول يا رب وعـــدتني الشـــــفاعة فشـــــفعني في خلقك فاقض بينهم فيقول سبحانه وتعالى شفعتك أنا آتيكم فأقض بينكم»** [رواه البخاري ومسلم وغيرهم].

وصـــدق الله عز وجل إذ يقـــول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾.

* وبالجملة فـــإن الله عز وجل قد كـــرم نبيه محمـدًا ﷺ تكريمًا في الـدنيا والآخـرة ما كرمه لأحد من العالمين.

فهل منعه هذا التكريم من الموت؟ كلا ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِـكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ [ق: 19].

قال ﷺ: «**إذا أصـيب أحـدكم بمصـيبة فليـــذكر مصـــيبته بي، فإنها أعظم المصـــائب**» (1) [السلســـلة الصـــحيحة 1106].

وإن إفادتنا من هـــذا الحـــديث لا تقف عنـدما يرشد إليه من ضـرورة صـبر الفـرد عند المصـــيبة فحســـب، بل إنه من مفـــاتيح الرقـاق والعلـوم والمعـارف، ينـير السـبيل

للمسـلمين، ويبصـرهم بأسـباب الظلمـات التي يحيونها، ويعرفهم على المصائب الـتي يعيشـونها، ويـبين لهم النجـاة باتبـاع منهـاج النبوة والرسالة.

ولكل عظيم إذا مـــــــات أثر عند من يعظمـــــه، وموته ﷺ لا ينحصر أثـــــره على الصحابة ﷺ فحسب، بل وعلى الأمة جميعًا.

فـأرى لزامًا علينا أن نتـدبر مصـيبتنا في وفاة رسولنا ﷺ فهي من أعظم المصائب.

عن ابن عباس وسابط الجمحي ﷺ؛ قـالا: قـال رسـول الله ﷺ: «**إذا أصـيب أحـدكم بمصـيبة، فليـذكر مصـيبته بي؛ فإنها أعظم المصائب**».

يتـبين لنا من هـذا الحـديث: أن مـوت النبي ﷺ أعظم المصائب التي حلت وسـتحل بأمة الإسـلام، ويطلب رسـول الله ﷺ منا أن نذكر بمصـائبنا موته وفراقـه، وبـذلك تهـون المصائب والخطوب.

وما من عزيز أو حـــبيب أو قـــريب أو صـــديق فقـــدناه؛ إلا وذاق القلب من لوعة فراقه وحرقة وداعـه، فهل شـعرنا بشـيء من هذا ونحن نستشعر فراق ومـوت النـبي

ﷺ؟

ماذا لو فقد الرجل أسرته كلها، وقد احترق قلبه، وأدمي فؤاده، وأنبتت دموعه الأسى، ثم تزوج بعد فترة، وعقب سنوات مات أحد أبنائه، كيف يكون حزنه وألمه إذا قورن بالمصاب الأول؟ أليس الخطب أهون والمصيبة أقل؟

وهكذا ينبغي أن نعزي أنفسنا كلما أصابتنا المصائب؛ بذكر موت النبي ﷺ.

إن رسول الله ﷺ يخاطبنا فيقول: «**يا أيها الناس! أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي**» [صحيح سنن ابن ماجه 1300].

ولو تأملنا كلمة «فليتعن» لوجدنا فيها الدواء والعلاج؛ إنها حروف يستطب بها الفؤاد.

ماذا لو فقد الإنسان أبويه الحبيبين في حادث سيارة؟ ألا يظل أثر المصيبة في

قلبه مدى الدهر؟

ماذا لو فقد أمه أو زوجته أو ابنه؟

كيف بنا نصاب بفقد النبي ﷺ ولا نحس؟

إن المصيبة ينبغي أن تعظم إذا سمعنا قوله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**.

وكأن المعنى بعد هذا النص سيكون: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون موتي أعظم مصيبة من فقده ولده ووالده والناس أجمعين»**.

فأين هذا الإحساس؟ وأين – بربكم – هذا الشعور؟

هذا هو إحساس المؤمن الصادق.

إن فقد النبي ﷺ من مصائب الدين، وإن أي إنسان فقدته ليهون أمام فقدان النبي ﷺ.

**اصبر لكل مصيبة وتجلد**
**واعلم بأن المرء غير مخلد**
**فإذا ذكرت مصيبة تسلو بها**
**فاذكر مصابك بالنبي محمد**

هل فقدت أمك؟ وهل تذكرت عند موتها

وأنت تنتحب أنها أخرجتك من ظلمات البطن إلى نور الدنيا، ورعتك، وربتك؟

لقد أخرجك الله بدعوة محمد ﷺ؛ من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى والتوحيد، وهذا – بإذن الله تعالى – إنقاذ لك من الخلود في النار، فهل بلبن أمك وحنانها وعطفها تنقذ من الخلود في النار؟

فوالله؛ لو كان لي ألف أم بحنان أمي وعطفها، ومُتْنَ في يوم واحد، ما ينبغي أن أحزن عليهن أكثر من الحزن على موت رسول الله ﷺ.

هل فقدت ابنك؟

أم زاد من بكائك تذكرك عونه ومساعدته وعطفه وبره؟ ومهما بلغت هذه الأمور؛ فإنها لن تبلغ ما قدمه لنا ﷺ من أمور، تدخلنا بعون الله تعالى جنة عرضها السماوات والأرض، ونخلد فيها وننعم.

نمتع بعون الأبناء وعطفهم سنوات تمضي، لكن التمتع في الجنة لا نهاية له ولا آخر.

أفلا يستحق رسول الله ﷺ منا أن نحزن على موته أكثر من سواه، ونذكره أشد مما

نـــذكر من فقـــدناه من الأبنـــاء والأولاد والأحباب [1].

ونتطـرق إلى وقـائع مـرض النـبي  ثم مراحل مرضه وما كــان يعانيه  من شـــدة المرض ثم احتضاره  ثم موته :

نــزل عليه  قــول الله عز وجــل: ﴿إِذَا جَـــاءَ نَصْـــرُ اللـــهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللـهِ أَفْوَاجًا * فَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ وَاسْـتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصرٍ].

قال جــابر بن عبد اللـه: لما نـزلت هـذه السورة. قال النبي  لجبريل: «**نعيت إلي نفسي يا جبريـــل. فقـــال جبريـــل: والآخرة خير لك من الأولى**».

وفي الحديث عن ابن عبـاس: لما نـزلت هــذه الآية قــال : «**نعيت إلي نفسي**» [رواه البخاري].

وقال مجاهد والضحاك وغيرهم إنها أجل رسول الله.

وفي العــام الحــادي عشر للهجــرة بــدأ

---

[1] (?) مصيبة موت النبي  وأثرها في حياة الأمة 4-10.

رسول الله ﷺ يحس بالألم الشديد في رأسه فكان أول ما ابتدأ به رسول الله ﷺ أنه خـرج إلى بقيع الغرقـــد، فســـلم على أهل البقيع واستغفر لهم.

تقـــول عائشة أم المؤمـــنين رضي الله عنهـــــا: فلما رجع رســــول الله من البقيع وجـــدني وأنا أجد صـــداعًا في رأسي وأنا أقــول وارأســاه فقــال: «**بل أنا والله يا عائشة وارأساه**». فقــامت عائشة رضي الله عها تــرقي النــبي ﷺ. [صـحيح ابن ماجه 197].

قـالت: «كـان رسـول الله ﷺ إذا اشـتكى نفث على نفسه بـــــالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشسـتكى وجعه الـذي تـوفي فيه طفقت أنفث على نفسه بــالمعوذات الــتي كـــان ينفث وأمسح بيد النـــبي عنه» [رواه البخاري، ومسلم].

وفي روايه للإمـــام مالـــك: «وأمسح بيد النبي على جسده رجاء بركتها.

وفي رواية الإمــام مســلم: «وأمسح بيد رســـول الله لأنها كـــانت أعظم بركة من يدي».

* واشـــتد الوجع برســـول الله وهو في بيت ميمونة رضي الله عنها فـــدعا نســـاءه فاســتأذنهن في أن يمــرض في بيت عائشة فإذِنَّ له رضي الله عنهن.

واشتد الوجع والألم برسـول الله ﷺ حـتى قلق الصحابة قلقًا شديدًا وحزنـوا حزنًا بليغًا فشعر النبي ﷺ بهذا الحزن وهذا القلق.

فأمرهم أن يصبوا عليه الماء.

كما ورد في الحـديث من حـديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما دخل رسـول الله بيتي اشتد به وجعه قـال: «**هريقـوا علي من ســـبع قـــرب لعلي أعهد إلى الناس**». وفي رواية: «**حـتى أخـرج إلى الناس فأعهد إليهم**».

تقــول عائشــة: فأجلســناه في مخضب لحفصة ثم طفقنا نصب عليه من تلك القـرب حـتى طفق يشـير إلينا بيـده أن قد فعلتن (وفي رواية ابن إسحاق) حـتى طفق يقول: «**حسبكم حسبكم**».

ثم خـرج إلى النـاس عاصـبًا رأسه حـتى جلس على المنبر.

فكــان أول ما ذكر بعد حمد الله والثنــاء

عليه ذكر أصــحاب أحد فاســتغفر لهم ودعا لهم وأكثر الصلاة عليهم. ثم قال:

**«أيها الناس إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شـــــهيد وإن موعـــــدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقـامي هـــــذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكــني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها كما تنافســوا فيها فتهلككم كما أهلكتهم»** [متفق عليه].

ثم قــال ﷺ: **«إن عبــدًا من عبــاد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عند الله فاختـــار ما عند الله»** ففهمها أبو بكر ﷺ وعرف أن العبد المخير هو رسول الله فبكى الصديق وقال: بأبي أنت وأمي يا رســـول اللـــه، بل نفـــديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا.

فعجب الناس من بكـاء أبي بكر ﷺ فقـال رسول الله ﷺ: **«على رسلك يا أبا بكر»**.

ثم قال: **«أيها الناس إن أمنَّ الناس عليَّ بصـحبته وماله أبو بكـر. وكلكم كان له عندنا يد كافأناه بها متخذًا إلا**

**الصـــــديق فإنا تركنا مكافآته لله عز وجل. لو كنت متخذًا من العبـاد خليلاً لاتخـــذت أبا بكر خليلاً ولكن أخـــوة وصـحبة وانظـروا إلى هـذه الأبـواب النافــذة إلى المســجد فســدوها إلا بيت أبي بكر»**.

ثم قـــال: **«يا معشر المهـــاجرين استوصوا بالأنصار خيرًا فـإن النـاس يزيــدون وإن الأنصــار على هيئتها لا تزيد وإنهم كـانوا عيبـتي الـتي أويت إليها فأحســـــنوا إلى محســــنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»** [رواه البخـاري ومسلم].

ثم نزل رسول الله ﷺ فـدخل بيت عائشة وتقـام به وجعــه، وثقل عليه المــرض، ولم يعد يقدر على الخروج للصـلاة بالمسـلمين، فــــأمر النــــبي ﷺ أن يصــــلي أبو بكر ﷺ بالمسلمين.

ففي الحــديث الـــذي رواه عبد الله بن مســعود أنه دخل على رســول الله ﷺ وقد اشتدت به الحمى فقال:

إنك لتوعك وعكًا شــديدًا يا رســول الله

قـال: «**أجل يا عبد الله إني أوعك كما يوعك الـــــرجلان منكم قلت إن لك لأجرين قال: نعم والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مـــرض مما ســـواه إلا حط الله عنه خطايــاه كما تحط الشــجرة ورقها**» [متفق عليه].

عن سالم بن عبيد ﷺ؛ قـال: «أغمي على رسـول الله ﷺ في مرضـه، فأفـاق، فقـال: «**حضرت الصلاة؟**» فقـالوا: نعم. فقـال: «**مـروا بلالاً فليـؤذن، ومـروا أبا بكر أن يصـــلي للنـــاس**» - أو قـــال: «**بالناس-**».

قـــال: «**ثم أغمي عليـــه، فأفـــاق، فقال:** «**حضرت الصلاة؟**» فقالوا: نعم. فقال: «**مروا بلالاً فليؤذن، ومــروا أبا بكر فليصل بالناس**» فقالت عائشة: إن أبي رجل أسيف، إذا قـام المقـام؛ بكى، فلا يستطيع، فلو أمرت غيره».

قـال: «ثم أغمي عليـه، فأفـاق، فقـال: «**مـروا بلالاً فليـؤذن، ومـروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صـواحب -أو:**

**صواحبات- يوسف»**.

قــال: فــأُمِرَ بلال فــأذن، وأمر أبو بكر فصلى بالناس.

ثم إن رسـول الله  وجد خفـة، فقـال: **انظـــروا لي من أتكئ عليه**، فجـــاءت بريرة ورجل آخر [1]، فاتكأ عليهما، فلما رآه أبو بكـــر؛ ذهب لينكص، فأومأ إليه أن يثبت مكانه، حتى قضى أبو بكر صلاته.

---

1 (?) في رواية الصــحيحين، خـــرج بين العبـــاس ورجل آخر وهو علي بن أبي طـــــالب وقيـــــل: العباس وولده الفضلى ويجمع بين الروايات بتعدد خروجه .

## وصاياه في اللحظات الأخيرة:

* **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا [متفق عليه].

* عن أنس قال: كانت عامة وصية النبي ﷺ حين حضره الموت: **«الصلاة وما ملكت أيمانكم»** حتى جعل يغرغر بها صدره وما يفيض بها لسانه.

تقول عائشة رضي الله عنها: «إن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت، دخل علي عبد الرحمن وبيده سواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدري، فرأيته ينظر إلى السواك، وأنا أعرف أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك يا رسول الله، فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته فأخذته، ومضغته. ثم لينته، ثم طيبته، ثم أعطيته لرسول الله ﷺ فاستاك به جيدًا، فلما انتهى أخذت السواك وأخذت أمتص من السواك ريق رسول الله فكان هذا هو آخر عهدي بريق النبي ﷺ. فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

وكـان ﷺ بين يديه ركـوة فيها مـاء فجعل يـــدخل يـــده في المـــاء فيمسح بها وجهه ويقـــــول: «**لا إله إلا الله إن للمـــــوت لسكرات. اللهم أعـني على سـكرات الموت**» [رواه البخاري].

* وأقبلت عليه ابنته فاطمة رضي الله عنها وكـانت من أحب النـاس إليه ﷺ وكـانت إذا دخلت عليه في حالة صـحته قـــام إليها وقبلها وأجلسـها في مجلسه ولكنه اليـوم لا يستطيع القيام تقول عنها عائشة رضي الله عنهـا: «ما رأيت أحـدًا أشـبه سـمتًا وهـديًا برســـــول الله بقيامها وقعودها من فاطمة وكـــانت إذا دخلت على النـــبي قـــام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه».

فلما مـرض الرسـول ﷺ دعاها كما قـالت عائشة رضي الله عنها: «دعا النــبي فاطمة عليها السـلام في شـكواه الــذي قبض فيه فســارها بشــيء فبكت ثم دعاها فســارها بشـيء فضـحكت فسـألنا عن ذلك فقـالت: سـارني النـبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الـذي توفي فيه، فبكيت ثم سـارني فـأخبرني أني أول أهله (لحوقًا بــه) يتبعــه، فضــحكت».

[رواه البخاري 2/628].

ثم قال: «**يا فاطمة إن جبريل كـان يعارضني القـرآن في كل عـام مـرة واحــدة ولقد عارضــني القــرآن في هذا العـام مـرتين وما أراه إلا أنه قد اقـــترب الأجل**». فبكت رضي الله عنها فقـــال: «**يا فاطمة إنك أشد نســـاء المسـلمين مصـابًا بي بعد مـوتي فلا تكوني أقل امـرأة صـبرًا فاصـبري يا بنــتي واحتســبي عند الله أجــركي**» فقـامت فاطمة تبكي وتقـول أحتسـبك عند الله يا رسول الله.

* فلما كان يوم الإثـنين الـذي تـوفي فيه رسـول الله خـرج إلى النـاس وهم يصـلون الصبح فرفع الستر وقـام على بـاب عائشة فكاد المسـلمون يفتنـون في صـلاتهم فرحًا برســـــول الله حين رأوه وهمَّ أبو بكر أن يتـأخر فأشـار إليهم أن اثبتـوا على صـلاتكم وتبسم ﷺ لما رأى من هيئتم في صــلاتهم ثم رجع وأرخى الستر [رواه البخاري].

وعاد وقد اقترب الأجل وبدأت اللحظات الأخيرة من عمره الشريف تتلاشى وتنتهي.

تقـول عائشـة: «مـات رسـول الله بين سـحري ونحـري وأنا مسـندته إلى صـدري فرأيته رفع يــده أو إصــبعه ثم قــال: «بل الرفيق الأعلى...، بل الرفيق الأعلى..، بل الرفيق الأعلى» فعلمت أنه لا يختارنا [رواه البخاري].

وعن أنس قــال: لما ثقل النــبي ﷺ جعل يتغشــاه فقــالت فاطمة عليها الســلام: واكرب أبتاه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**» فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًا دعـاه، يا أبتـاه من جنة الفـردوس مأواه، يا أبتـاه إلى جبريل ننعـاه، فلما دفن قالت فاطمـة: يا أنس أطـابت نفوسـكم أن تحثــوا على رســول الله الــتراب [رواه البخاري].

مـات رسـول اللـه.. مـات المصـطفى محمد ﷺ.. مات خـير خلق اللـه.. مـات إمـام الأنبياء.. مـات إمـام الأصـفياء.. مـات إمـام الأتقياء.

وقام عمر يصـرخ ويقـول: إن رجـالاً من المنــافقين يزعمــون أن رســول الله ﷺ قد مـات وإن رسـول الله والله ما مـات ولكنه

ذهب إلى لقـــــاء ربه كما ذهب موسى بن عمـران فقد غـاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم والله لـــــيرجعن رســـــول الله فليقطعن أيـدي رجـال وأرجلهم زعمـوا أنه قد مات.

وعقر عليٌّ فقعد في الأرض لا يســتطيع القيام.

وخرس لسان عثمان يذهب به ويـأتي به من يده لا يتكلم.

وجــاء الصــديق وعمر يكلم النــاس فلم يلتفت إلى شـيء حـتى دخل على الجثمـان الطـــاهر الشـــريف وهو مســجى في بيت عائشة فكشف الثــــــوب عن وجهه وأقبل عليه يقبلـــه، وبكى وهو يقـــول: بـــأبي أنت وأمي يا رسول اللـه.. وا نبيـاه وا صـفياه وا خليلاه. أما الموتة الـــتي قد كتبها الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصـيبك بعـدها موتة أبـدًا. ثم رد البرد على وجهه، وخـرج إلى النـاس. فقـــال: على رســـلك يا عمر فـــأبى إلا أن يتكلم فأقبل النـــاس على أبي بكـــر، فحمد الله وأثـنى عليه ثم قــرأ على النـاس قـول الله تعـالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَـدْ**

**خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَـاتَ أَوْ قُتِـــلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَـــابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْـهِ فَلَنْ يَضُـرَّ اللـهَ شَــيْئًا وَسَــيَجْزِي اللــهُ الشَّــاكِرِينَ﴾** [محمد: 44].

فوالله لكـأن النـاس لم يعلمـوا أن هـذه الآية قد نـزلت وأخـذها النـاس عن أبي بكر فإنما هي في أفــواههم. فلما ســمعها عمر عقر ووقع على الأرض لا تحمله رجلاه وعلم أن رسول الله قد مات.

وجــاءت فاطمة تبكي وتقــول: يا أبتــاه أجاب ربًا دعاه.. يا أبتاه إلى جبريل ننعـاه..، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه.

ثم غسـلوه في ثيابـه، وكفنـوه، ودفنـوه في حجرة عائشة رضي الله عنها.

والله إن العين لتـــــــدمع.. وإن القلب ليحزن.. وإنا لفراق رسول الله لمحزونون.

## بكاء أم أيمن وتهييجها أبا بكر وعمر (رضي الله عنهم جميعًا) على البكاء

وعن أنس ؓ؛ قــال: «قــال أبو بكر ؓ بعد وفــاة رســول الله ﷺ لعمر ؓ: انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كـــــان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقـــالا لهـــا: ما يبكيـــكِ؟ ما عند الله خـــير لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن لا أكــون أعلم أن ما عند الله خـــير لرســـول الله ﷺ، ولكن أبكي أن الـــــــوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معهـــــــــــــــــــــا.

[رواه مسلم].

## ماذا بعد موت النبي ﷺ

ذرفت العيون ووجلت القلوب، ولكن؛ ما العمل؟

العمل العمل بكتاب الله تعالى.

العمل العمل بسنة رسول الله ﷺ.

لقد بين رســول الله ﷺ أن ســبب ضــلال اليهــود والنصــارى هو عــدم العمل بــالتوراة والإنجيل، فعلينا بالعمل والمسارعة فيه.

وعلينا بمبدأ التمحيص وعدم تلقي غير الثابت من الأحاديث؛ لأن هذا الأمر دين، وهذا القول شرع، فلننظر عمن نأخذ ديننا.

وعلينا بالعلم ومجالسة العلماء.

ولنتدبر وصية عمر بن عبد العزيز (رحمه الله تعالى) وهو يكتبها إلى أبي بكر بن حزم:

«انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه. وإني خفت – أي زوال – دروس العلم، وذهاب العلماء. ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ. ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا».

فدروس العلم تجعلنا نصحب النبي ﷺ كما قال الشاعر:

**أهل الحديث هم أهل**

**لم يصحبوا نفسه أنفاسه**

فلنصحب رسول الله ﷺ في صلاته.

فلنصحب رسول الله ﷺ في صيامه.

فلنصحب رسول الله ﷺ في زكاته.

فلنصحبه ﷺ في حجه.

فلنصحبه ﷺ في سلوكه.

فلنصحبه  في جهاده.

ولا نقبل إلا حديث النبي  بعد قرآن رب العالمين.

فحديثه الشفاء، وفيه النجاة.

فيه النجــاة من التعصب لمــذهب كــذا وكذا.

فيه النجاة من التحزب لحزب كذا وكذا.

فيه تتحد القلوب وتـأتلف ويصـبح الصف واحدًا [1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصــحبه ومن تبعهم بإحســان إلى يــوم الدين.

1 (?) مصـيبة مـوت النـبي  وأثرها في حيـاة الأمة 33-36.